الباب الثاني

الخلفاء الراشدون

أبو بكر الصديق (١١هـ-١٣هـ/ ٦٣٢م-٦٣٤م):

حين لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ذهب الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة كي يختاروا خليفة لرسول الله ﷺ، وخطبهم سعد بن عبادة زعيم الخزرج فذكر أن الأنصار هم سكان المدينة وعليهم تقع المسؤولية، بيد أن كبار الصحابة سارعوا إلى اجتماع السقيفة، وبايعوا أبا بكر الصديق بالخلافة ليكون أول خليفة لرسول الله ﷺ، ورضي الأنصار وبايعوا.

سُمي أبو بكر في الجاهلية عبدالكعبة، وسماه رسول الله ﷺ عبدالله، وأطلق عليه الصديق لأنه أول من صدق برسالته ﷺ من الرجال.

وأسلم على يدي أبي بكر عدد من كبار الصحابة منهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وهاجر أبو بكر مع النبي ﷺ، وزوَّج ابنته عائشة الصديقة بنت الصديق لرسول الله ﷺ.

خطب أبو بكر بعد مبايعته بالخلافة وقال:

« يا أيها الناس، إني قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ».

ما إن سمع الناس خارج المدينة بموت الرسول ﷺ حتى ظنوا أن الإسلام قد انتهى، ووجدت أغلب القبائل الفرصة سانحة ليخرجوا على خليفة رسول الله ﷺ فامتنع بعضهم عن دفع الزكاة، وأعلن بعضهم ارتداده عن الإسلام إلى الكفر.

هزّت الردة العالم الإسلامي في ذلك الحين، فأصر أبو بكر على قتال المرتدين حتى يرجعوا إلى رشدهم ويؤدوا ما فرض الله عليهم.

وقال:

« والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ».

وأرسل أبو بكر كتباً للمرتدين يدعوهم فيها إلى العودة إلى حظيرة الإسلام، ثم أرسل الجيوش لقتالهم حين رفضوا الانصياع والطاعة، ومن أشهر الذين أمَّرهم أبو بكر على جيوشه:

* خالد بن الوليد.
* شرحبيل بن حسنة.
* عكرمة بن أبي جهل.
* عمرو بن العاص.
* سعيد بن العاص.
* العلاء الحضرمي.

ولم تلبث نار الردة أن خمدت بعد أن انتصرت جيوش الحق على المرتدين.

ادّعى بعض أفراد قبائل شبه جزيرة العرب النبوة، وكان مسيلمة الكذاب أخطرهم، إنه من بني حنيفة، استطاع أن يقود قبيلته لتتردى في دعوته الكاذبة، وتزوج امرأة من بني تميم اسمها سجاح، فضم قبيلتها إلى دعوته، والطريف أن مسيلمة أرسل إلى الرسول ﷺ كتاباً يدعوه إلى اقتسام النبوة والرسالة، فأرسل إليه رسول الله كتاباً ينقض دعوته، يقول فيه: «**من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبَع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**».

وما إن تولى أبو بكر الخلافة حتى أرسل إلى مسيلمة جيشاً يقوده عكرمة ابن أبي جهل، ثم سير جيشًا آخر يقوده شرحبيل بن حسنة، ولم يتمكن القائدان من الوصول إلى الهدف، فسيّر أبو بكر جيشاً يقوده خالد بن الوليد،

فانهزم جيش مسيلمة بعد معركة حديقة الموت التي استشهد فيها كثير من حفظة كتاب الله عز وجل، وقتل وحشيٌّ مسيلمة الكذاب، فانتهت فتنته.

أما الأسود العنسي الذي ظهر في اليمن وادعى النبوة وانضمت إليه معظم قبائل اليمن فقد قتل غيلة وانتهت دعوته.

وكان طليحة بن خويلد من بني أسد قد انضمت إليه غطفان ومن حولها، ولما سيّر إليه أبو بكر جيشاً يقوده خالد بن الوليد وهزمت جيوشه فرّ طليحة إلى الشام وأقام في قبيلة كلب وأسلم حين أسلمت تلك القبيلة.

وامتدت رقعة العالم الإسلامي في خلافة أبي بكر، فسير أبو بكر جيش أسامة بن زيد الذي كان قد عقد لواءه الرسول ﷺ قبل وفاته للثأر من الروم، وقال أبو بكر للجيش: «لا تخونوا ولا تغلوا وتغدروا وتمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخًا كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله..».

نزل أسامة البلقاء (في منطقة عمَّان اليوم) وقضى على من لقيه من جند الروم، وأحرق المدن التي قاومت المسلمين، فأرهبوا الروم وأدخلوهم الجحور.

وأرسل أبو بكر المثنى بن حارثة الشيباني فانضم إلى جيش العلاء الحضرمي واستولى على القطيف وحارب الفرس الذين عاونوا المرتدين في

البحرين، ثم جهز أبوبكر جيشاً يقوده خالد بن الوليد عدته عشرة آلاف مقاتل، فقاتل الروم في اليرموك وهزمهم وقتل منهم مئة وعشرين ألفاً.

لكن أثناء قتال المسلمين في اليرموك لإعلاء كلمة الحق توفي أبوبكر -رضي الله عنه - وكان ذلك في السنة الثالثة عشرة من الهجرة. ورحم الله أبابكر الصديق.

obeikandl.com

عمر بن الخطاب (١٣هـ-٢٣هـ/ ٦٣٤م-٦٤٤م)

ولد عمر الفاروق بمكة قبل حرب الفجار بأربع سنين، وأسلم وسنّه ست وعشرون سنة، ولم يحفظ إسلامه في السر بل جهر به، وهاجر علناً والكفار ينظرون، وصحب الرسول ﷺ في معظم غزواته. لقبه الرسول العظيم بالفاروق؛ لأن الله فرّق به بين الحق والباطل.

وحين اشتدت العلة بأبي بكر خاف أن يتنازع المسلمون ويختلفوا على من يولونه الخلافة، فعهد بالخلافة من بعده لمن اعتقد فيه الكفاية وحسن السياسة، فكانت البيعة لعمر بن الخطاب، وخاطب أبو بكر المسلمين قائلاً: «إني قد ولّيت عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا».

فأجابوه: سمعنا وأطعنا.

خطب عمر المسلمين أول عهده بالخلافة قال:

«اتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفّها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وكان خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني قد انتصرا على الفرس، واستوليا على الحيرة والأنبار، وصالحا أهلها على أن يؤدوا الجزية، لكن يزدجرد آخر ملوك ساسان أعد جيشاً بقيادة رستم، فأمر أبو بكر خالداً بالتوجه للّحاق بجيوش المسلمين لقتال الروم في فلسطين والشام.

فلما تولى عمر الخلافة أرسل إلى العراق أبا عبيد الثقفي فاشتبك مع جيوش الفرس، لكنه انهزم وجيشه في واقعة الجسر، فعهد عمر إلى سعد بن أبي وقاص بالانطلاق إلى القادسية، فالتقى جيش الفرس بقيادة رستم وعدّته ثلاثون ألفاً، وكان جيش المسلمين نحو ثمانية آلاف، واشتد القتال وانتهى بنصر الله للمؤمنين وهزيمة الفرس، وقتل قائدهم رستم، وكان ذلك في العام الخامس عشر للهجرة، واستولى المسلمون على مغانم كثيرة، وما لبث سعد أن تبع الفرس إلى جلولاء في العام التالي، وقتل عدداً كبيراً منهم، ثم اتخذ الكوفة مقراً، وأسس بها المسجد الجامع، ثم استولى على المدائن عاصمة كسرى بعد أن حاصرها شهرين.

فرّ يزدجرد ملك الفرس، وبعد خمس سنين وفي العام الحادي والعشرين من الهجرة انتصر المسلمون على الفرس في موقعة نهاوند، وفرّ يزدجرد إلى الحدود الشرقية، وتبدّد ملكه، وانتهى حكم الأكاسرة.

وبنى المسلمون الكوفة، كما بنوا البصرة، ودخل الفرس في الإسلام واختلطوا بالعرب المسلمين، وأصبحوا عنصراً إسلامياً فعّالاً في الدولة الإسلامية.

أمر عمر بأن تواصل جيوش الإسلام قتال الروم، فانتصر المسلمون على

الروم عدة انتصارات واستولوا على حمص وحماة واللاذقية وحلب وبيسان وطبرية.

ثم تم فتح بيت المقدس سنة ١٦هـ، وجاء الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وسلّمت له، وبذلك أصبحت الشام الرومية في نطاق الإسلام، وولاية إسلامية.

ثم استأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب في فتح مصر، فجهزه بجيش من أربعة آلاف مقاتل، فالتقى جيش المسلمين بجيش الروم، واقتحم المسلمون حصن بابليون، وتم فتح الإسكندرية، وأتم المسلمون الاستيلاء على مصر التي رحب بهم أهلها ليخلصوهم من حكم الرومان وظلمهم، وأمدوهم بالمعونة والمؤن، وما إن دخل المسلمون مصر حتى خيّر عمرو بن العاص القبط بين الدخول في الإسلام أو البقاء على دينهم وأداء الجزية.

ومن إصلاحات عمر بن الخطاب وإنشاءاته العظيمة ما يلي:

١- تأسيس البصرة: فقد أسسها في العام السادس عشر للهجرة. وقد فضل المسلمون سكنى البصرة لأنهم لم يألفوا سكنى المدن الكبيرة كالمدائن، وأصبحت البصرة من أهم المراكز الإسلامية للتجارة مع الهند والصين.

٢- تأسيس الكوفة: كما أسس المسلمون الكوفة في العام السابع عشر للهجرة.

٣- تأسيس الفسطاط: أسسها عمرو بن العاص في العام العشرين للهجرة يجوار حصن بابليون، واتسع نطاق الفسطاط وكان موقعها على رأس الدلتا مما سهل لعمرو الإشراف على الوجهين البحري والقبلي، واتخذها عمرو مقراً لحكمه.

وترجع تسمية الفسطاط إلى فسطاط عمرو (خيمته) الذي باضت فيه اليمامة أثناء ذهابه لقتال الروم في الإسكندرية. وأنشأ عمرو جامعه في العام الحادي والعشرين للهجرة، وهو أقدم الجوامع الإسلامية في مصر وإفريقية ويسمى بالمسجد الجامع وتاج الجوامع.

لماذا انتصر المسلمون؟

يتساءل كثيرون عن السبب في توالي انتصارات العرب المسلمين رغم قلة عددهم، وإنهائهم لأكبر قوتين في ذلك الحين، وهما الفرس والروم.

يرجع انتصار الإسلام في معاركه العظيمة في المقام الأول إلى تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين، ثم بعد ذلك تأتي أسباب مادية نذكر منها ما يأتي:

أولاً: ضعف الروم والفرس: وذلك لتواصل القتال بين الدولتين لعدة

قرون، ولقد عرض القرآن الكريم في سورة الروم صورة ذلك الصراع حين أخبر بانتصار الروم بعد أن هزمتها الفرس، يقول تعالى: ﴿ **الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾.

لقد أضعف القوتين العظيمتين كثرة التناحر والتنافر بين جيوشهما، وحين وجه إليهما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب نسور الإسلام لم تلبث راية النصر أن ارتفعت خفاقة لإعلاء كلمة الله ولكسر شوكة أعداء الله ورسوله ﷺ.

ثانياً: كثرة الضرائب التي فرضها الروم والفرس على الرعايا؛ مما أثقل كاهل هؤلاء الرعايا فتاقت نفوسهم إلى التحرر من نير العبودية والذل للدولتين، ورحبوا بالمسلمين، وبذلوا لهم العون والمؤن وحمسوهم ضد الروم والفرس.

ثالثاً: تقشف العرب وزهدهم في الدنيا وبذخها، فقد جبل المسلم على الاكتفاء بالزاد القليل لنفسه ولجواده، بينما اعتاد الفارسي والرومي على البذخ والإسراف في المأكل والمشرب.

رابعاً: الاضطهاد الديني الذي كان يلقاه الرعايا التابعون للدولتين، فقد كان أكثر أهل الشام ومصر على ديانة مخالفة لديانة الروم، فاضطهدهم الروم

وشتتوا شمل القساوسة، وما لبث هؤلاء وقد سمعوا بتسامح المسلمين أن هفت نفوسهم إلى الانضواء تحت لواء الإسلام.

خامساً: تعدد الأجناس، كانت جيوش الإسلام يسهل التفاهم بين أفرادها؛ لأنهم يتفقون في الجنس واللغة والمشاعر، أما جنود الروم والفرس فكانوا مختلفي الأجناس واللغات، ويصعب التفاهم بينهم.

سادساً: التحمس للدين، كان الإسلام في قلوب المسلمين، يتفانى المسلم في نشره، ويبذل روحه رخيصة في سبيل إعلاء شأن دينه، وهذا يفسر إصرار المسلم على محاربة الفرس والروم وهزيمتهما لكي ينشر الدين الحق في شتى بقاع الأرض.

شخصية عمر:

بعد أن ذكرنا العوامل المادية التي أتاحت انتصار المسلمين على أعدائهم من الفرس والروم بعد نصر الله لهم نتحدث عن شخصية عمر العظيمة:

عمر هو أول من لقب بأمير المؤمنين، فقد قال له بعض الصحابة: كان أبوبكر خليفة رسول الله ﷺ، وأنت خليفة أبي بكر، ومن سيأتي بعدك سيسمى خليفتك؛ فهو خليفة خليفة رسول الله، وهذا يرهقنا.

فقال صحابي:

نحن المؤمنون، وأنت أميرنا، فأنت أمير المؤمنين.

فقبلها عمر.

كان لعمر –رضي الله عنه– صفتان بارزتان:

أ– الشدة والصرامة في تطبيق الحق وإقامة الحد، فهو ينتصر للحق على الباطل من الصديق أو العدو، من القريب أو البعيد على حد سواء، لا يهمه أسخط الناس أم رضوا.. قال ﷺ: «**رحم الله عمر، يقول الحق وإن كان مرًّا، تركه الحق وماله من صديق**».

ب– الفراسه: قال ابن سلام: إن عمر كان لا يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر، حكت عائشة –رضي الله عنها– عن الرسول ﷺ: «**قد كان في الأمم محدَّثون ملهمون، فإن يكن من أمتي أحد فهو عمر بن الخطاب**».

صدق رسول الله ﷺ.

لقد أقام عمر ميزان العدل على نحو غير مسبوق في العالم كله، وأدار شؤون الدولة الإسلامية بالشدة والفراسة على أتم وجه.

وقطع عمر عهداً على نفسه: ألا يشغل بدنياه عن آخرته.

كان يقول: «إنما أنا ومالكم كوالي مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف».

فقيل له: ما ذاك بالمعروف يا أمير المؤمنين؟!

قال عمر: لا تقوم البهيمة الأعرابية إلا بالقضم لا الخضم.

ولعل أروع مثل ضربه عمر على تطبيق حدود الله وشريعته الإسلامية ما فعله بولده أبي شحمة أو عبدالرحمن الأوسط الذي تعاطى الخمر مع أحد رفاقه بمصر، وأقام عليه عمرو بن العاص والي مصر الحد في صحن داره، مما أغضب عمر فأمره أن يرسل ابنه إليه في المدينة على بعير، وفي المدينة أقام عليه الحد مرة ثانية على ملأ من الناس حتى شارف على الوفاة. فقال له عمر:

إذا لقيت رسول الله فأنبئه أن عمر يقيم الحدود.

استشهاد عمر -رضي الله عنه-:

خرج عمر يوماً يطوف في السوق فلقيه أبو لؤلؤة وقال له:

يا أمير المؤمنين، أعنِّي على المغيرة بن شعبه فإن علي خراجاً كثيراً.

فسأله عمر -رضي الله عنه-:

- كم خراجك؟

قال: درهمان كل يوم.

سأله عمر:

– وما صناعتك؟

قال: بخّار، نقَّاش، حدَّاد.

قال عمر:

– فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال.

وطلب إليه عمر أن يصنع له رحى، فقال أبو لؤلؤة:

إن شئت لأعملن لك رحى يتحدث بها من في المشرق والمغرب.

وفي صباح ثالث يوم أمَّ عمر الناس في المسجد فشق أبو لؤلؤة الصفوف وطعنه بخنجر ست طعنات، ثم طعن نفسه.

وأوصى عمر وهو يجود بأنفاسه ابنه عبدالله بأن يستأذن عائشة ليدفن بجوار رسول الله ﷺ وأبيها أبي بكر، فأذنت له، رحم الله عمر بن الخطاب الذي لقي ربه عام ٢٣هـ شهيداً.

عثمان بن عفّان (٢٣هـ-٣٥هـ/ ٦٤٤م-٦٥٦م)

حين طُعِن الخليفة عمر بن الخطاب بخنجر أبي لؤلؤة المسموم، وألحَّ المسلمون عليه أن يعهد بالخلافة لأحد من بعده، فاختار -رضي الله عنه- ستة من أكابر الصحابة وأوصى أن يكون الخليفة من بينهم، وقال لهم وهو في فراش الموت:

«إني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجرة عائشة فتشاوروا واختاروا رجلاً منكم».

كان الستة هم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوّام.

لكن الخليفة لم يعين إلا بعد أن واروا جسد عمر التراب، ثم بايعوا عثمان بن عفان، فأصبح الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ.

من هو عثمان؟

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف. وكان يكنى بأبي عبدالله، وأبي عمرو، ويقال له ذو النورين لأنه تزوج ابنتي الرسول ﷺ: رقية وأم كلثوم.

وفي حديث مشهور عن البخاري أن رسول الله ﷺ قال: « **من يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان، ومن جهَز جيش العسرة فله الجنة فجهَزه عثمان** ».

وأشاد ﷺ به فقال:

« **أرحم أمتي أبو بكر، وأشَدها في دين الله عمر، وأشدَها حياءْ عثمان** ».

اتسعت الدولة الإسلامية في خلافة عثمان شرقاً وغرباً وشمالاً، فقد رفع الفرس راية العصيان بعد مقتل عمر في عصر يزدجرد، فأنفذ إليهم عثمان جيشاً بقيادة عبدالله بن عامر فقضى على العصيان وفتح خراسان.

كذلك أخضع المسلمون جرجان على يد سعيد بن العاص، وصالح أهالي بلاد ما وراء النهر الأحنف بن قيس.

وغزا عبدالله بن أبي السرح إفريقية وأخضعها للنفوذ الإسلامي.

ولقد حاول الروم غزو مصر واستعادتها من السيطرة الإسلامية، فهزم المسلمون بقيادة عبدالله بن أبي السرح جنود الروم بقيادة ملكهم قسطنطين في معركة بحرية عظيمة اسمها ذات الصواري (شمال قبرص) بالقرب من سواحل الأناضول، حدث ذلك في العام الرابع والثلاثين للهجرة.

عُرف عثمان –رضي الله عنه– بالسخاء والكرم ولين الجانب، وكان المجتمع قد تغيّرت أحواله كثيراً عما كانت عليه في عهد الخليفة الثاني عمر؛ فقد تدفقت الأموال على المسلمين من البلاد المفتوحة، وعاش الناس في رخاء وبحبوحة، ومع لين عثمان –رضي الله عنه– ورخاء العيش وجد اليهود فرصتهم للانتقام من المسلمين، وإثارة الفتنة بينهم، وتزعم هذا الأمر يهودي أظهر إسلامه وأخفى الكفر (منافق)، وذلك هو عبدالله بن سبأ وكان يعرف بـ (ابن السوداء)، وهو من يهود اليمن، وقد بدأ يبث الإشاعات في نفوس الأعراب والبداة حديثي العهد بالإسلام، وكان من هذه الإشاعات المغرضة:

أولاً: أن عثمان –رضي الله عنه– يحابي أقرباءه ويوليهم المناصب الهامة؛ ولذا قام بعزل ولاة عمر وتعيين أقربائه..

ثانياً: أن علياً –رضي الله عنه– أحق بالخلافة من عثمان..

وبدأ ابن سبأ ينشر الفتنة في الأمصار ويشنّع على والي الكوفة سعيد بن العاص، ومما يدل على كذب افتراءات ابن سبأ وخبث مؤامراته أن عثمان –رضي الله عنه– استجاب لهم وعزل سعيداً وولى مكانه أبا موسى الأشعري كما طالب أنصار الفتنة، ومع ذلك لم يتوقفوا، واستمروا يشيعون الشائعات في كل مكان وخاصة في مصر.

حاول كبار الصحابة منع المخربين عن غيّهم بمحاورتهم ومعرفة مطالبهم ومناقشتها مع الخليفة، إلا أن ابن سبأ كان قد أعدّ خطة محكمة ليدخل ومن سار معه من أنصار الفتنة إلى المدينة المنورة حيث الخليفة عثمان –رضي الله عنه–، فتسللوا وسط الحجيج، وأحس الصحابة في المدينة بالخطر فخرجوا إلى مشارفها ليدافعوا عنها، فلما رآهم المخربون وقع الخوف في نفوسهم، وأظهروا الطاعة والعودة من حيث جاؤوا، فاطمأن الصحابة ودخلوا المدينة، وبعد قليل فوجئوا بالمخربين من أنصار الفتنة يملؤون الشوارع، ثم يحاصرون دار الخليفة عثمان –رضي الله عنه– ويسيئون إليه في المسجد وهو يخطب الناس، ويهددونه ليتنازل عن الخلافة فيرفض، وبينما هو في بيته يتلو القرآن الكريم إذا بهم يتسلقون جدارن منزله ويهاجمونه ويقتلونه.

ويطلق المؤرخون على هذه الفتنة التي أودت بحياة عثمان –رضي الله عنه– (الفتنة الكبرى)، رضي الله عن عثمان.

علي بن أبي طالب (٣٥هـ-٤٠هـ/ ٦٥٦م-٦٦١م)

الآن نختم حديثنا عن خلافة الراشدين بآخرهم علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، وكنيته أبو الحسن، وهو ابن عم رسول ﷺ، وزوج ابنته الشريفة فاطمة -رضي الله تعالى عنها-.

كان أبو طالب كثير العيال وفقيراً، وقد كفل محمد ﷺ علياً ليعاون عمه أبا طالب وليرد إليه ديْنه الذي طوّقه به صغيراً حين احتضنه وكفله وهو يتيم بعد أن توفي عنه جده عبدالمطلب.

كانت سن علي حين كفله الرسول العظيم ﷺ عشر سنين، وكان أول الفتيان إسلاماً، وحين نزلت الآية الكريمة: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ كان علي أول من آزر النبي ﷺ في نشر الرسالة النبوية.

وكان علي هو الذي نام في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة إلى المدينة ثم لحق بالرسول وأبي بكر بعد أن ردّ الودائع التي كانت عند النبي ﷺ لأصحابها.

في سن العشرين اشترك علي في غزوة بدر الكبرى.

وصفوه، فقالوا:

كان يرتدي بيضة لامعة فيها ريشة.

انطلق علي بسيفه يشق الصدور ويجتث الرؤوس، فهو صاعقة تنقضّ فتحرق الأعداء، وكان علي هو الذي صرع الوليد بن عتبة، وقتل حنظلة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد بن العاص، ونوفل بن خويلد، وزمعة بن الأسود.

بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- ذهبت جماعة المسلمين إلى علي يبايعونه بالخلافة، فقال لهم:

لا حاجة لي بها، سأرضى بمن رضيتموه.

إنه الآن في التاسعة والخمسين، وقد زهد في الخلافة.

ذهب الناس إلى طلحة والزبير ووسّطوهما في الحديث مع علي ليقبل الخلافة.

وذهب الرجلان إليه وقالا له:

ألا ترى الفتنة؟ أنقذ الناس يا ابن عم رسول الله.

فقال علي للجماعة المسلمة:

قد أجبتكم.

بويع علي بالخلافة من جميع من كانوا بالمدينة، وكان ذلك في الغد من مقتل عثمان، فخطب عليٌّ الناس وقال:

« أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه، اللهم انصر القائمين بكتابك وسنتك » .

أراد عليٌ أن يعزل معاوية عن الشام فصمم معاوية على البقاء فيها إلى أن يشاء الله، وأرسل إلى علي رسالة يطالبه فيها بدم عثمان .

أخذوا يطالبونه بدم عثمان، والقصاص من قتلته .

وها هو يدخل مع معاوية المعركة بعد المعركة، ثم يلجأ معاوية إلى تحكيم كتاب الله بينهما -عندما أيقن أن جيش علي موشك على الانتصار- ويوافق علي على ذلك، ويوفد أبا موسى الأشعري من لدنه مفاوضاً، بينما يُفَوِّضُ معاوية عمرو بن العاص في الحديث عنه .

ويجري التحكيم، ولم يصلوا إلى نتيجة .

بعد التحكيم ساء موقف علي، وبعد أن عاد علي إلى الكوفة التي اتخذها عاصمة للخلافة انقسم الناس عليه بعد أن رفض علي أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية، وظهرت طائفة الخوارج الذين خرجوا على عليّ بعد التحكيم، وكان عددهم اثني عشر ألفاً، فذهبوا إلى النهروان، ودارت بينهم وبين علي حرب طاحنة انعقد لواء النصر فيها لعلي، وحين عاد إلى الكوفة ليستنفر الناس لقتال معاوية تقاعسوا عن نصرته .

كان علي يسوّي بين الناس، وينفق من بيت المال على الفقراء والمساكين، وكان دائماً يقول:

يا دنيا غُرِّي غيري.

ويكتب إلى عامله ويقول: «احتفظ بما في يديك من عمل حتى نبعث إليك من يتسلمه منك».

ويرفع طرفه إلى السماء ويقول:

«اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك».

نظم علي الشرطة وحفظ النظام، وقبض على الجناة والمجرمين، وهو الذي أطلق على رئيس الشرطة اصطلاح (صاحب الشرطة) واشتهر بالمروءة واحترام العهود والوفاء، والحرص على حقن دماء المسلمين.

قال عنه أبو رافع، خازن بيت المال:

طلب عقيل بن أبي طالب من أخيه علي منحه من بيت المال، فأبى علي أن يعطي أخاه وقال له:

يا أخي، ليس لك من هذا المال غير ما أعطيتك، ولكن اصبر حتى يجيء مالي وأعطيك ما تريد.

فهل هناك من هو أشد حرصاً على مال المسلمين من علي؟ ومع ذلك كان علي يعيش عيشة التقشف والزهد، وكان طعامه أدنى مستوى من طعام رعاياه.

يقول علي لأصحابه:

سلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أم نهار في سهل أو جبل.!

كان لقبه -رضي الله عنه- قاضي الأئمة، وقد روى كثيراً عن النبي ﷺ:

يقول علي:

«الناس ثلاثة: عالم ربّاني، وعالم متعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاة أتباع كل ناعق.. يميلون مع الريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقه، وصحبة العالم دين يدان بها باكتساب الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثه بعد وفاته..».

لما طالت الحرب بين علي ومعاوية اجتمعت طائفة باغية تتآمر وتتشاور كيف يمكن أن تُوقِف تلك الحرب.

كانوا ثلاثة:

عمرو التميمي.

عبدالرحمن بن ملجم.

البرك التميمي.

كان ذلك والناس نيام.. قال عمرو: لقد أصاب الجنون علياً ليقبل التحكيم يا ابن ملجم.. كان التحكيم وسيلة مكّنت معاوية بن أبي سفيان من رقاب الناس، ومعاوية لا ريب سيصير خليفة على المسلمين.

قال عبدالرحمن بن ملجم:

« حاول أن يصير معاوية خليفة ليستقر لآل سفيان الأمر، سأقتله قبل أن تحدثه نفسه بهذا ».

وقال البرك:

لقد قتل علي خير أصدقائنا في معركة النهروان حين رفضوا التحكيم.

وقالت أم عمرو:

وأنا فقدت أبي في هذه الحرب.

قال ابن ملجم:

وأنا فقدت أخي.

فعقّب البرك بقوله:

أما أنا فضاع ثلاثة من أعمامي وأخوان لي.

فقال ابن ملجم:

إذن لابد من الخلاص من كل الذين اشتركوا في التحكيم، وخانوا الأمة وأنا أكفيكم علياً.

قال البرك:

وأنا أقتل معاوية:

وقال عمرو:

وأنا أكفيكم عمرو بن العاص.

واتفقوا على أن ينفذوا الاغتيال في السابع عشر من رمضان؛ لأن الناس يشتغلون أثناء رمضان بالعبادة والصوم.

في يوم استشهاده استيقظ علي في السحر وصلى صلاة خاشعة وسبّح الله كثيراً وختم صلاته وقد سمع صوت المؤذن يرفع أذان الفجر.

obeikandl.com

أوصى ابنه الحسن بأن يسبقه إلى المسجد ريثما يجدّد وضوءه فمضى الحسن خبباً [1] إلى المسجد.

وجاء علي -رضي الله عنه- وطعنه عبدالرحمن بن ملجم بالسيف، وهو يتقدم المصلين.

قال علي لولده الحسن: وهو يجود بنفسه:

اقتربت النهاية، وأريد أن أوصيك فاسمع.

وسكت ودمه ينزف، ورفض استدعاء الطبيب، ثم واصل يقول:

أحسنوا نزل الجاني وأكرموا مثواه. إن أعش فأنا أولى بدمه قصاصاً أو عفواً. إن مت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين.

وإياكم والمثلة ولو بالكلب العقور، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، الله الله في الفقراء والمساكين.

أذّن المؤذن يدعو الناس إلى الصلاة فأشار علي وقال:

أيها الناس، اذهبوا إلى المسجد لتدركوا الصلاة قبل فواتها، ولا يتخلفن منكم أحد عنها.. غفر الله لكم.

---

(١) الخبب: المسرع.

obeikandl.com

دفن علي وسط النحيب والدموع، بكى الناس فيه الأصل الطيب والمنبت الخير والعدل والخوف من الله تعالى.. ودفنوه في اليوم الثالث.

وسأل الحسن قاتل أبيه:

ماذا دفعك إلى القتل؟!

أجاب عبدالرحمن:

ثأري أخذته، ونذري وفيّته.

صاح الحسن في غضب:

أي ثأر وأي نذر؟!

أجابه عبدالرحمن في هدوء:

تعاهدنا على قتل علي ومعاوية وابن العاص.

فقال الحسن:

خذوه وأقيموا عليه الحد.

رحم الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورضي عنه وعن جميع أصحاب رسول الله ﷺ (وكان قد نجا من هذه المؤامرة كل من معاوية وعمرو ابن العاص).

obeikandl.com